فخري أبو السعود

للاستاذ محمد محمود زيتون

أوشكت عشر سنوات أن تنقضي على وفاة الشاعر الكاتب فخري أبو السعود على إثر محنة لم تمهله حتى أسلمته إلى يد الردى ، فقصفت شبابه الغض ، وترك هذين البيتين وأولهما لزهير والآخر للمتنبي :

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولا لا أبالك يسأم
وإني لمن قوم كرام نفوسهم ترفع أن تحيا بلحم وأعظم

وهذه الثلاثون التي سئمها فخري كانت حافلة بحياة أدبية ممتازة إن لم تكن نادرة ، فقد تخرج — رحمه الله وغفر له في مدرسة المعلمين العليا ، ونجح في مسابقة وزارة المعارف فبعثته إلى جامعة اكستر بانجلترا . وتوفيت أمه فرثاها بقصيدة دامية نشرتها مجلة « الإمام » ولم يكن يعلم بنشرها لولا أن قدمتها إليه ذات عشية التقيت به فيها بداره في شتاء سنة ١٩٣٨ .

وعاد فخري إلى الوطن وقد اختار زوجته من إحدى زميلاته الإنجليزيات ، وأنجب منها ولدين . وأقام في منزل وادع برمل الإسكندرية ، وسافرت قرينته إلى وطنها تزور أهلها ومعها ولداها . فلما شبت نار الحرب ، واستهدفت إنجلترا للغارات ، كان الولدان من بين أطفال الإنجليز المرحلين إلى أمريكا فغرقت بهم السفينة جميعا . أما زوجه فقد حبستها الحرب عن اللحاق به في مصر .

وفي صيف سنة ١٩٣٩ التحق فخري بجامعة (جرينوبل) في دراسة صيفية خاصة ، وفي نيته أن يلقى زوجه هناك ، ولكنه عاد ولم يتمكن من لقائها هناك .

كان فخري محباً للرياضة ولا سيما (التنس) ، ومغرما بالسير على الأقدام على شاطىء البحر في هدأة الفجر ، ونأمة السماء ، وكان من رواد السينما إذا كان بها فلم يتفق مع ثقافته وهواه . خرج ذات يوم من عرض سينمائي وهو حانق على الأجانب لاستهجانهم موكباً وطنياً جاء في الجريدة الناطقة ، فالتهبت له أكف الجماهير ، بالتصفيق ، فكتب فخري في « الرسالة » قصيدة تفيض بالوطنية قال منها :

أقم صاغراً وارغم حياتك وشقها فإنك مصري وإنك مسلم

وعني فخري بالتاريخ ، فوضع « الثورة العرابية » ، ونشر في « الرسالة » قصيدة بمناسبة « ذكرى موقعة التل الكبير » ، وأخذ نجمه يلمع في الأفق الأدبي لما كانت تمتاز به قصائده من أصالة ودقة حتى ارتفع إلى مصاف كبار الأدباء على الرغم من حداثة سنه ، وفي غير جلبة أو دعاية .

واحتفل في شعره بالطبيعة والوطنية والوجدان ، وعني بكل لفظ جزل رصين ، وبالروي الجميل الناعم . هذا وهو مدرس للغة الإنجليزية بالمدارس الثانوية .

وتقدم فخري إلى المسابقة التي عقدتها وزارة المعارف سنة ١٩٣٩ فانفرد بجائزتين ماليتين بكتابيه : « الخلافة » و « البارودي » ونال من الدكتور هيكل باشا (وزير المعارف حينذاك) ما هو أهل له . وقد أطلعني فخري بعد عودته من جرينوبل على كتب تاريخية هامة أحضرها معه ، وعكف على دراستها في شغف وهدوء ، وكان يعد هذه المراجع كنزاً ثميناً يعتز به ويفخر .

وكانت دراسات فخري في « الأدب المقارن » التي كانت تنشرها له الرسالة تباعاً أكبر دليل على أنه تملك ناصيتي العربية والإنجليزية ، وأن محاولته تلك لم يسبقه إليها أحد من مواطنيه بل ولا من المستشرقين . وقد نقل إلى العربية « تس سليلة دربرفيل » للشاعر القصصي الفيلسوف توماس هاردي ، نشرتها له لجنة التأليف والترجمة والنشر من سلسلة عيون الأدب الغربي .

هذه لمحة قصدت منها إلى التنويه بما كان لفقيد الأدب من مكانة لم ينلها غيره ، ومع هذا درج إلى وادي النسيان . وكأنه ما كان ، أفلا يجدر بالدوائر الأدبية في مصر أن تستعيد ذكرى فخري أبو السعود قبل أن يحين العام العاشر على وفاته ، فتؤلف لجنة لجمع شعره في ديوان ، وبحوثه عن الأدب المقارن في كتاب . وعسى أن يتفضل معالي وزيرنا الأديب الدكتور طه حسين بك فيأمر بنفض الغبار عن أصول كتابيه الفائزين وبذلك ندفع منا وصمة التنكر لذوي الفضل ، ولا شك أن في إحياء ذكراه تكريماً للأدب والأدباء .

محمد محمود زيتون